Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 1, No. 16, sep. 2020

Published online in September

المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الأول، العدد السادس عشر، سبتمبر 2020م

تجارة المواد العطرية بممالك جنوب شبه الجزيرة العربية

1100ق.م _ 525م

إبراهيم مفتاح شيرة

قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة مصراتة

i.shera@edu.misuratau.edu.ly

ملخص:

حاز الموقع الجغرافي لبلاد اليمن على أهمية كبيرة من الناحية التجارية فمن الغرب كان البحر الأحمر أما من ناحية الشرق فكان الخليج العربي وشمالاً كان الحجاز وبلاد الشام أما من ناحية الجنوب فيطل على بحر العرب والمحيط الهندي، فكل هذه السواحل جعلت من اليمن القديم مزدهراً تجارياً والذي عاد بالرخاء على سكانها، فقد كانت سفنهم تشق طريقها إلى الهند والحبشة محملة بالبضائع القادمة من مصر وبلاد الرافدين والشام، وتعود حاملة على متنها بضائع الهند من توابل وحرير ومنتجات الخليج العربي كاللؤلؤ والذهب.

عمل اليمنيون دور الوسيط في التجارة البرية والبحرية بين مناطق شبه الجزيرة العربية ومصر وبلاد الرافدين والشام والحبشة والهند، فكانت تجارة القوافل مزدهرة فاهتموا بالطرق التجارية وأنشئوا المحطات على طرق القوافل التي كانت مهمتها حماية تلك القوافل من اللصوص وقطاع الطرق وتقديم المؤن اللازمة لأصحابها وبمرور الزمن أصبحت تلك المحطات أسواقاً تجارية رائجة عادت بالربح على سكان عرب جنوب الجزيرة.

Trade in aromatic materials in the kingdoms of southern Arabia 1100BC – 525MB

Abstract:

The geographical location of the countries of Yemen gained great importance from the commercial point of view. From the west it was the Red Sea, while on the east side was the Arabian Gulf and the north was the Hejaz and the Levant. On the south side was the Arabian Sea and the Indian Ocean. All these coasts made the ancient Yemen prosperous commercially, which

returned prosperity On its inhabitants, their ships were making their way to India and Abyssinia loaded with goods coming from Egypt, Iraq and the Levant, and they would return on board the goods of India including spices, silk and products of the Arabian Gulf such as pearls and gold.

The Yemenis acted as a mediator in the land and sea trade between the regions of the Arabian Peninsula, Egypt, Iraq, the Levant, Abyssinia and India, so the caravan trade was flourishing. Booming commercial markets that gave profit to the Arab residents of the south of the island.

أسباب اختيار الموضوع: من أهم أسباب الدراسة هو معرفة أنواع المنتجات التي كانت تنتجها بلاد اليمن القديم وكذلك معرفة الطرق التجارية البحرية والبرية التي أوصلت بلاد اليمن إلى الثراء الذي شهدته قديماً، والتعرف على أهم مناطق إنتاج المواد العطرية من بَخُور ولبان ومر وغيرها، ولماذا هذه المنتجات كانت مرتفعة الأثمان في العالم القديم، وأهم استخدامات تلك المواد.

أهمية الدراسة: إن أهمية الدراسة تكمن في البحث في أحوال بلاد اليمن الاقتصادية ومساهمة التجارة البرية والبحرية في استقرار المنطقة سياسياً واجتماعياً جعلت منه مصدراً كبيراً للسلع الثمينة في العالم القديم، حيث كان هذا الثراء سلاحاً ذا حدين بين مستفيد وطامع.

الهدف من الدراسة: الهدف من هذه الدراسة هو بيان أنواع أهم المنتجات اليمنية والتي تعد بمثابة النفط في وقتنا الحاضر وكيف استفاد منها اليمنيون في تجارتهم مع سكان الحضارات القديمة كما تهدف الدراسة إلى تتبع الطرق التجارية البرية والبحرية وأهم الموانئ التي كانت تصدر المواد الخام التي تنتجها بلاد اليمن وأهم الواردات التي تصل إلى تلك الموانئ والتي يتم إعادة تصديرها إلى مناطق العالم القديم.

إشكالية الدراسة: تكمن إشكالية الدراسة في التعرف إلى أي مدى وصل التوسع التجاري البري والبحري في المناطق التي تاجر معها سكان بلاد اليمن القديم؟ وما هي الانعكاسات الاقتصادية التي عادت على المنطقة؟ ولماذا كان الطلب على المواد العطرية بشكل خاص ومنتجات بلاد اليمن بشكل عام في العالم القديم.

تساؤلات الدراسة: هناك العديد من التساؤلات التي تطرحها الدراسة تحاول الإجابة عنها ومنها: ما أهم أنواع السلع التجارية التي كانت تنتجها بلاد اليمن القديم؟ كيف استطاع التجار العرب الوصول إلى العالم القديم والمتاجرة معه؟ ما هو انعكاس تجارة المواد العطرية على بلاد اليمن؟ هل الثراء الذي شهدته بلاد جنوب الجزيرة العربية جعلها في مأمن من الحضارات القديمة وخاصة الفرس والإغريق والرومان؟

فرضية الدراسة: كان لتجارة المواد العطرية دور كبير في ازدهار بلاد اليمن القديم، فقد كان يصدر إلى بقاع العالم آنذاك، حيث كان الطلب عليه عالياً، فقد استطاع عرب جنوب الجزيرة العربية الحفاظ على مناطق إنتاجه وبالتالي تحكموا في القوافل التي نقلت تلك المنتجات بين الشرق والغرب والشمال فعملوا كوسطاء تجاريين عادت عليهم بأرباح طائلة.

المنهج المتبع في الدراسة: المنهج التاريخي الذي اعتمدته الدراسة هو المنهج القائم على تحليل وثائق المسند و النصوص التاريخية لاستقراء تاريخ جنوب شبه الجزيرة العربية.

توطئة:

يقول المؤرخ المقدسي عن خيرات بلاد جنوب شبه الجزيرة العربية: " اليمن معدن الصعائب، والعقيق، والأدم، والرقيق، فإلى عمان تخرج آلات الصيادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقم، والساج، والساسم، والعاج، واللؤلؤ، والديباج، والجزع، واليواقيت، والأبنوس، والنارجيل، والقند والصبر والاسكندروس، والحديد، والرصاص، والخيزران، والغضار، والصندل، والبلور، والفلفل، وغير ذلك، وتزيد عدن بالعنبر، والشروب، والدرق، والحبش، والخدم، وجلود النمور(المقدسي،1906، ص97-98).

لقد ساعدت خصوبة التربة واعتدال المناخ والأمطار الغزيرة على تطور وتوسع رقعة الأرض الزراعية في بلاد اليمن القديم، فزرع اليمنيون الحبوب بمختلف أنواعها والتوابل وأشجار الفاكهة وغيرها(رحماني ومدني،1997ص80)، فوصف ديودورس الصقلي بلاد سبأ فقال" تفوح في طول البلاد وعرضها روائح عطر طبيعي... وتنمو فيها أشجار البخور والصبر الضخمة وأشجار الكافور وغيرها من الأشجار

ذات الروائح العطرية... "(حتي،1974،ص56)،فمن المواد العطرية التي تاجر بها اليمنيون الصمغ والكافور(إسماعيل،1997،ص220) والوَرَسْ وهو نبات يشبه الزعفران يستخدم في الصباغة. (باعليان،2013،ص32).

التجارة البرية والبحرية للمواد العطرية:

إن من أقدم العلاقات المسجلة بين بلاد اليونان والعرب كانت في فترة حكم الاسكندر المقدوني الذي فكر في الاستيلاء على بلاد العرب، ولقد تضاربت الآراء حول الأسباب التي جعلت من الاسكندر الأكبر يفكر في غزو بلاد العرب، حيث يرى المؤرخ جواد علي بأن من جملة الأسباب هو شهرة بلاد العرب بالبخور وطيبها وثرواتها واتساع سواحلها وبالجزر الكثيرة القريبة منها وكثرة موانئها التي تمكن سفنه (أي الاسكندر) من الرسو بها وتأسيس مدن جديدة تكون من المدن الغنية(جواد علي،1993، ص251).

جاء في التوراة ذكر للهدايا التي قدمتها ملكة سبأ للنبي سليمان –عليه السلام-: "وأعطت الملك مئة وعشرين وزنة ذهب وأطياباً كثيرة جداً وحجارة كريمة لم يأت بعد مثل ذلك الطيب في الكثرة الذي أعطته ملكة سبأ للملك سليمان"(سفر ملوك الإصحاح الأول10:10) ويرى المؤرخ اسرائيل ولفنسون أن العلاقات السبئية اليهودية كانت قديمة جداً وأن التجار اليهود قد وصلوا بتجارتهم إلى داخل بلاد اليمن القديم وانتشرت الديانة اليهودية بينهم (ولفنسون،1927،ص39)، لذلك لفظة "سبأ" كانت تطلق على جميع تجار العرب، وذلك بسبب شهرتها في منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية بين ممالكها فأطلق الجزء على الكل (الشيبة،1999، ص13).

اشتهر عرب جنوب شبه الجزيرة العربية بصناعة الطيب والعطور وتصديرها إلى أسواق أوروبا وإفريقيا وأسيا (داغر،1919،ص20) فكانت من أهم الأسباب التي دفعت بالاسكندر الكبير إلى إيجاد موطئ قدم في بلاد العرب هو سمعتها الواسعة ببخورها وطيبها ومعادنها الثمينة فضلاً عن اتساع سواحلها وكثرة مرافئها(جواد علي،1993، ص251)، حيث وجد نقش باللغة اليونانية واللغة المعينية في جزيرة ديلوس يرجع إلى عصر البطالمة يتحدث عن استيراد سلعة البخور من جنوب شبه الجزيرة

العربية (هومل.1958.ص63)، فقد كان الاسكندر المقدوني مولعا بحب البخور فكان ينثر البخور ببذخ على الآلهة لذلك أوصاه أستاذه ليونيدس بأن عليه أن يغزو بلاد العرب و يستولي عليها لأنها أماكن إنتاج البخور، وبالفعل بعد أن استولى الاسكندر على بلاد العرب أرسل سفينة محملة بأنواع الطيب إلى معلمه وطلب منه أن يقدم منها القرابين السخية(عبدالغني 1999، ص121).

لقد اهتم البطالمة اهتماماً خاصاً بالتجارة مع إفريقيا وبلاد العرب ؛ حيث أوضحت العديد من الشواهد الأثرية تفاصيل الكثير من النباتات والمواد العطرية وسلع الرفاهية والفخامة الواردة من بلاد العرب كما تذكر بعض البرديات أنواع تلك السلع مثل اللبان والمر والكاسيا (عبدالغني 1999، ص41)، ولقد أقام بطليموس فيلادلفوس العديد من الموانئ على الساحل المصري للبحر الأحمر مثل ميناء أرسينوى وميناء وفيلوتيرا وميناء بيرينيكي يقوم على حمايتها حراس يراقبون الطريق ويؤمنون القوافل، و زودت هذه الموانئ بصهاريج لحفظ المياه وكان يقوم على كل ميناء موظف بطلمي يحمل لقب المشرف على البخور (عبدالغني، 1999، ص42)، ولقد ازدهرت التجارة العربية بعد الغزو المقدوني ووقوع المنطقة تحت سيطرة البطالمة لمدة طويلة إلا أن عرب الجنوب ظلوا هم المسيطرين على التجارة وخاصة مع بلاد الهند لفترة طويلة. ويصف أحد المؤرخين الإغريق عرب سبأ بقوله: "هم بحارة مهرة ومحاربون أشداء يبحرون في سفن كبيرة الحجم للبلاد التي تنتج العطور وكانت لهم فيها مستعمرات يستوردون منها نوعاً من العطور النادرة التي لا توجد في أي منطقة أخرى من العالم القديم"(عبدالعليم،1979،ص18). كما عَرف السبئيون مواقيت واتجاهات هبوب الرياح الموسمية لذلك ازدهرت موانئهم وجابت سفنهم سواحل شرق إفريقيا وجزر البحر الأحمر ونجحوا بالدوران حول القرن الإفريقي(الناصري، 1990، ص26).

ويرى أحد الباحثين بأن الملاحة العربية قد ازدهرت بعد الوجود المقدوني وقويت الصلات التجارية بين موانئ البحر الأحمر والخليج العربي من ناحية وبين سواحل البلدان المطلة على المحيط الهندي من ناحية أخرى، وعلى الرغم من وقوع تلك المناطق تحت سيطرة البطالمة مدة طويلة إلا أن عرب جنوب شبه الجزيرة العربية كانوا هم المسيطرين على التجارة البحرية بلا منازع لهم (الندوي،1935ص 102)،

فكانت التجارة والأسواق في ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية تحكمها وتنظمها قوانين وتشريعات صارمة ومن هذه التشريعات النص الذي عُرف بقانون تمنع التجاري والذي يُعد من أهم النصوص التي تم الكشف عنها حتى وقتنا الحاضر ويظهر هذا القانون مدى التطور الفكري والحضاري عند سكان مملكة قتبان لحماية التجار القتبانيين والتجارة في المملكة القتبانية (النعيم،2000،ص182)، ومن نصوصه على سبيل المثال لا الحصر: (النعيم،2000،ص ص183-184)

- يجب على تجار تمنع وبرم دفع ضريبة السوق مهما كانت تجارتهم.
- ويجب على التاجر في تمنع أو الغريب امتلاك متجر حتى يسمح له بالتجارة فيها.
- تكون التجارة مع القبائل المجاورة حقاً للتجار القتبانيين دون غيرهم.
- كل الضرائب تدفع إلى ملك قتبان.

وبذلك حقق القتبانيون أرباحاً كبيرةً مستغلين موقعهم بالقرب من باب المندب ومجاورتهم لحضرموت (إسماعيل،1997، ص197).

عثر في جزيرة ديلوس ببلاد اليونان على كتابات معينية بالخط المسند تشير إلى وصول المعينيين إلى تلك الجزر وإقامتهم بها ومبادلة المنتجات اليونانية والأوروبية بمنتجات جنوب البلاد العربية والهند(جواد علي،1993،ج7،ص261)، كما وجدت كتابات معينية في مصر القديمة بمنطقة الجيزة تعود إلى عام 263 ق.م تؤكد وجود صلات بحرية وبرية وثيقة بين مصر والجزيرة العربية(متري،1913، ص53)،حيث كانت مصر تستورد المر الذي كان يُستخدم في صناعة الأدوية وعلاج الكثير من الأمراض، والقليمة وهو قصب الطيب (جواد علي،1993،ج7، ص266). وتشير النقوش في مدينة أور والوركاء ببلاد الرافدين إلى أن هناك علاقات تجارية في بعض الأحيان وعلاقات عدائية أحياناً أخرى مع الدولة المعينية، حيث كانت العلاقات العدائية نتيجة لأسباب توسعية أو للسيطرة على الطرق التجارية العالمية القديمة التي كانت تحمل البخور والمر إلى بلاد الرافدين (العلي،2000،ص22).

ومن بين النقوش التي تؤكد وجود صلات تجارية بين ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية ومصر الفرعونية نقش وجد في مصر كُتب في العام الثاني والعشرين من حكم الملك بطليموس السادس أي

حوالى عام 159ق.م يبين أن جالية معينية كانت تقيم في مصر وكانت تتاجر بالطيب والبخور الذي كان يستخدم بشكل واسع في المعابد المصرية (جواد علي،1993، ج7،ص269)، كما كانت المنتجات المصرية تنقل إلى بلاد بونت (Punt) (وهيبة، د.ت، ص310) وإلى جنوب الجزيرة العربية والصومال وارتيريا، ويستوردون منها منتجاتها التي من أهمها الطيب والبخور (فخري،1980،ص140).

لقد ورث السبئيون التجارة عن المعينيين وأصبحوا أعظم وسطاء بين حضارات العالم القديم وبذلك أصبح لهم نفوذ واسع في العالم القديم(سرور،1964،ص27).أما القتبانيون فقد قاموا بتمهيد الطرق الوعرة لغرض التجارة فشقوا الجبال ورصفوها بأحجار صلبة ليسهل السير عليها(حمودة، 2006، ص61).

كانت مدينة عدن التي تطل على البحر الأحمر محطة تجارية والسوق الرئيسة الكبرى تتجمع فيها بضائع الهند والصين والتي كانت تصل إليها إما عن طريق البر أو البحر ثم تتجه تلك البضائع إلى مصر بعدما تحمّل البضائع على سفن أخرى (هايد.1991، ص28) حيث يذكر المقريزي في كتابه "إغاثة الأمة في كشف الغمة" أنه على مر الأزمان القديمة كانت سفن التجار الهنود تلقي مراسيها في عدن ولا تتوغل في البحر الأحمر لأنه مليء بالصخور حيث كان يشاع أن السفن الكبيرة المحملة لا تستطيع الإبحار في البحر الأحمر نتيجة اصطدامها بالصخور وغرقها(هايد.1991، ص29)، وكان عرب جنوب شبه الجزيرة العربية وسطاء في نقل بضائع بلاد الهند إلى مصر(مهران، 2008، ص100)، واحتفظ الوسطاء العرب بسر أخفوه عن التجار الإغريق وهو اكتشافهم للرياح الموسمية التي كانت تسهّل عملية إبحار السفن في البحر أو المحيط ليحافظوا على احتكارهم للسلع الهندية التي كانت تدر عليهم أرباحاً كبيرة(Warmington.1974.p.9).

كانت مدينة معان حاضرة الدولة المعينية مركزاً مهماً للمواصلات والطرق التجارية ومحطة للقوافل ما بين جنوب شبه الجزيرة العربية وشواطئ البحر المتوسط لذلك يرجع الفضل في نمو وازدهار بعض المدن على ساحل المتوسط والتي من أهمها مدينة غزة بفلسطين(الحوت،1991،ص53). فكان للموقع

الجغرافي لبلاد العرب الجنوبية دور في تسهيل تصدير البخور الذي يصدر إلى مناطق العالم القديم، ولعب دوراً مهما في التبادل التجاري والثقافي بين حضارات جنوب آسيا والشرق الأدنى وحوض المحيط الهندي ومنطقة البحر المتوسط فقد كانت الرياح الموسمية (التجارية) تهب في شمال المحيط الهندي في الشتاء وفي الصيف لذلك ساعدت السفن التجارية على الإبحار من الموانئ الغربية للمحيط الهندي إلى الموانئ الجنوبية الغربية لشبه الجزيرة العربية وكان الإبحار يتم في هذا الاتجاه في فصلي الشتاء والربيع وفي الاتجاه المعاكس في فصل الصيف وبذلك استفاد العرب والهنود من هبوب هذه الرياح(كليب، 2011، ص344).

بلاد العرب السعيدة:

أطلق المؤرخون الكلاسكيون على جنوب شبه الجزيرة العربية بلاد العرب السعيدة وذلك بسبب غنى محاصيلها الزراعية وتنوعها واعتدال مُناخها بعكس المناطق الأخرى شديدة الحرارة (مهران، 2008، ص97)، وهي أكثر المناطق اتساعاً في بلاد العرب (مهران، 2008، ص96).ولقد أدت تلك الظروف في الألف الأول قبل الميلاد إلى قيام مجتمعات وممالك سياسية مستقرة كان لها تأثير في المناطق المجاورة لها وتحديداً على الساحل الأثيوبي المقابل لها وخاصة في المعاملات التجارية وتدفق موجات من المهاجرين الذين استوطنوا ذلك الساحل (موسكاتي، 1968،ص35) فالتجارة والتجار لهم تأثير كبير في سياسة الدول سواء السياسة الداخلية أو الخارجية(مورلي،2011،ص20)، والحياة الاقتصادية هي المسؤولة عن تنظيم الحياة السياسية والعسكرية والدينية للمجتمعات(فنلي، 2011،ص68). وتشير بعض المصادر الكلاسيكية أن التجارة السبئية شكلت مصدر دخل كبير للمنطقة لذلك أطلق عليها اسم العربية السعيدة حيث ساعد تصدير الطيب إلى توسع العلاقات الثقافية مع العديد من شعوب العالم القديم، لذلك نستطيع القول بأن النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد كان عصر الدولة السبئية بلا منازع (كليب،2011،ص334) على الرغم من أن السبئيين كانوا يقدمون البخور والمر كأتاوة إلى الملك سرجون الاكادي عام715 ق.م (هومل،1958، ص82).

كان للأودية العديدة دور كبير في ازدهار جنوب الجزيرة العربية منها وادي "سردد" الذي يروي مناطق زراعية شاسعة وبسبب كثرة الشلالات به استخدمه الحميريون في عملية طحن الحبوب حيث أقاموا على المساقط المائية الطواحين التي تعمل بطاقة الماء الساقط من الأعلى، وكذلك وادي "سهام" الذي ينبع من جنوب صنعاء ويصب في البحر الأحمر جنوب مدينة الحديدة، ومن أهم الأودية وادي "مأرب" الذي ينبع من جبال بلق ويتجه شرقاً ماراً بمدينة مأرب على بعد كيلومترات من سدها الشهير(مهران،2008، ص118).

لا شك أن كثرة الأودية التي حظيت بها ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية كان نتيجة لكثرة الجبال والمرتفعات في تلك المناطق الأمر الذي أدى إلى استغلال تلك الأودية فبنى السكان السدود التي كان من أشهرها سد مأرب الذي كان الغرض من بنائه هو رفع الماء لارتفاع لا يقل عن خمسة أمتار لري الأراضي الزراعية المرتفعة في وادي مأرب، وكذلك التحكم في السيول ومياه الفيضانات وتخزينها لأطول فترة ممكنة حتى يأتي موسم الأمطار التالي(فخري،1988،ص98). ويبلغ طوله ثمانمئة ذراعٍ وعرضه مئة وخمسين ذراعاً(ابوالعلا، 1972،ص43)،وكذلك سد قتبان وسد عياد وسد لحج وسد سحر وسد الشعباني وسد الخانق، حيث يصف أحد شعراء العرب السدود في منطقة "ياريم" وحدها فيقول:-

وفي الجنة الخضراء من أرض يحصب *** ثمانون سداً تقذف الماء سائلاً (مهران، 2008، ص119)

يعتبر المؤرخ بليني أول من تكلم عن كنوز بلاد العرب في كتابه "التاريخ الطبيعي"، فخلط الحقيقة بالخيال، وهذه الكنوز جعلتهم –أي العرب– أغنى شعوب العالم لذلك دعاها بالسعيدة فيذكر لنا " لا توجد بلاد تنتج اللبان إلا بلاد العرب، ولكن ليست كلها تنتجه، وإنما بلاد الحضارم وهم جماعة من السبئيين، تقوم عاصمتهم شبوة (سباتا) فوق جبل عالٍ، وعلى بعد ثماني مراحل منها في اتجاه شمال الشرق تقع منطقة إنتاج اللبان المعروفة باسم سبأ وهي بقعة يصعب النفاذ إليها لأنها محاطة بالجبال من كل جانب وتفصلها عن البحر الواقع عن يمينها منحدرات صخرية شاهقة "(بافقيه،1985، ص171).

العطور:

بحكم الموقع الجغرافي للبلاد العربية فقد كانت على صلات وثيقة بالعديد من المراكز الحضارية المهمة ببلاد الرافدين وبلاد فارس ومصر الفرعونية، فقد كانت بلاد اليمن وحضرموت وعُمان من أخصب بقاع الجزيرة العربية قديماً وأكثرها نماء(غويدي1986 ص87)، وعلى صلات تجارية بالمراكز السالفة الذكر عن طريق البحر والبر(عبدالعليم،1979،ص15)، فقد اشتهرت بلاد العرب باستخراج الروائح والعطور من الأزهار والورود كماء الورد والطيب الذي اشتهرت به بلاد اليمن، والذي كان يتم تركيبه بمزج المواد العطرية بالزيت، أما المسك فقد كان أثمن أنواع الطيب وإذا ذكر المسك فإن العنبر كان يخلط به أما أجود أنواع المسك والعنبر فكان الذي يجلب من شحر بعُمان(إبراهيم،2002،ص129)، لذلك كانت أجود أنواع العطور التي تغزو أسواق مكة(الاصفهاني،ج1، ص64).

لم يكن المسك والعنبر هما المادتين العطريتين فقط فقد كان اللبان أيضاً مادة عطرية وهو أنواع كثيرة منها الرند والمر والصبر والضرو والحذق والعفص والضجاج والقُسط والسياع والكندر والكادي، وكل هذه المواد تُستخرج من نباتات تنمو في الجزيرة العربية وخاصة في جنوبها (شهاب،1981، ص149).كما ورد في نقوش المسند العديد من اسماء وأنواع العطور مثل: قبلت وقلم ونعم وسليخة، ويحتوي صمغ هذه المواد العطرية على مادة دهنية لها رائحة نفاذة طيبة تستخدم في صناعة الطيب، فالمر مثلاً يحتوي على 17% من المادة الدهنية يجعله رطباً لذلك يعرف بدهن المر فيدخل في تركيب معظم العطور كمادة مثبتة ليحافظ على رائحتها مدة طويلة تصل إلى عشرة أعوام(معطي،2003،ص179)، لم يكن المر يستخدم كمادة حافظة فقط بل كان يصنع منه الأدوية ويضاف إلى الخمور لكي يكسبها رائحةً وطعماً طيباً(النعيم،1992،ص191)، كما أن عرب اليمن لم يعتمدوا على العطور المحلية فقط بل كانوا يستوردون المواد الأولية لصناعة الطيب من الهند فيصنعون أطيب الطيب وأجوده، ثم يقومون بإعادة تصديره إلى البلدان الأخرى كبلاد الروم وفارس(Cone.p95).

لقد كان التجار من الهند والسند وبلاد فارس والروم يقصدون مدن جنوب شبه الجزيرة العربية للحصول على طيوبها التي أخذت شهرة واسعة في العالم القديم فأغلى الطيوب العربية يتكون من دهن

العنبر الذي يجمع في فصل الشتاء ويعثر عليه على السواحل الجنوبية لبلاد العرب، وهو أنواع منها الأبيض والأسود والأزرق وأشهرها العنبر الشحري، والزّبَاد وهو حيوان يشبه القط له غدة ذات رائحة نفادة (النعيم،1992، ص 190-191)، و عطر العبير الذي يدخل في تركيبته الزعفران والدّرِيْرَة التي هي عبارة عن خليط من بعض المواد المجففة مثل الحلب الأبيض وبِسْبَاس الطيب وجوز الطيب وزهر الكافور الذي ينمو في المنطقة العربية والتي اشتهرت بتحضيره. كما كانوا يقومون بعصر بعض النباتات وأزهارها ليستخرجوا زيتها ويحولوه إلى عطر يتطيبون به والذي كان أجودها دهن الزنبق (معطي، 2003، ص169)، لقد كانت العديد من الحضارات قائمة على التجارة مع بلاد اليمن القديم فدولة الأنباط في شمال الجزيرة العربية كان أحد أعمدة اقتصادها هو التجارة مع ممالك جنوب الجزيرة العربية(سقال، 1995، ص53) حيث كان النبطيون يستوردون البخور الذي كان يباع بأثمان مرتفعة والذي كان مادة أساسية في حياة الناس وطقوس عبادتهم، وكذلك المر الذي كان يستخدم في تحضير العقاقير و في صناعة المواد التجميلية والعطور وشؤون الدفن.(عباس، 1987،ص112).

البخور:

عُرفت بلاد اليمن بتجارة العطور والبخور والطيب والمر والصمغ والكافور والورس، فكان يصدر إلى مصر القديمة حيث كانوا يستخدمونه في المعابد وفي تحنيط جثث الموتى(الكعبي واندیشة، 2005، ص53)، وإن أقدم إشارة للبخور جاءت في نقش يعود إلى حوالى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد في عهد الملك ساحورع، وفيه يتحدث النقش عن سفن أرسلها الملك إلى بلاد بونت لجلب البخور، وفي عهد الفرعون رمسيس الثالث (القرن الثاني عشر قبل الميلاد) قام الفرعون بإنشاء مبنى خاص بالبخور فكان يحرقه قرباناً للإله آمون (زيدان،1979، ص214)، ولقد كان الطلب على البخور كبيراً في العالم القديم وفي فترة العصور الوسطى، بل إن شدة الطلب عليه حركت أساطيل وأشعلت حروباً للسيطرة على مصادره (عثمان،1990،ص150)، ويقول بليني إن المعينيين هم أول من مارس تجارة البخور حتى أن البخور يعرف بالمعيني نسبة إليهم بينما السبئيون هم الوحيدون الذين استطاعوا أن يشاهدوا شجرة

البخور، أما جني محصول البحور فإن له طريقة وطقوساً خاصة كانت حكراً على بعض الأسر، لذلك كانت أسعاره مرتفعة. (بافقيه،1985، ص172).

إن أول استخدام للبخور كان في عملية التحنيط ثم استخدامه في تبخير المعابد وفي الاحتفالات الدينية وفي مراسم الدفن حيث يحرق في مباخر خاصة فينتج عنه دخان ذو رائحة طيبة لذلك كانوا يطيبون به الضيوف والأصنام (سالم،1967، ص88)، كما كانت العادة عند الأشوريين أن الرجل وامرأته كانا عقب الجماع يقومان بتبخير نفسيهما بالبخور، وهذه العادة أخذها الأشوريون من عرب اليمن (صالح، 1981، ص135).

جاء في كتابات المسند أن البخور كان يقدم للآلهة في جنوب شبه الجزيرة العربية بعشرات الأطنان لذلك ظل سوقاً رائجة لفترة طويلة ولعدة قرون فكان يضاهي الذهب في قيمته (الطليسي،2013، ص57)، كما كان للصمغ العربي دور كبير في التجارة العالمية فأشجاره تنمو في بطون الأودية ولها ظل يقي من حرارة الشمس (شاكر،1976،ص31).ولقد مثّل البخور عصب التجارة العربية ففي عهد مملكة سبأ كان العمل في الغابات لاستخراج البخور له طقوس خاصة، ويحتاج جهداً كبيراً فقد كانوا يقومون بشق لحاء الأشجار لاستخراج المادة الصمغية والسائلة التي يتكون منها اللبان الذي استخدمه المصريون في علاج التهابات الحنجرة والسعال والعديد من الأمراض الصدرية (عبدالعال،2007، ص99).

اللبان والمر:

اشتهر اليمن القديم بغرس الأشجار المثمرة فكان أهم تلك الأشجار شجرة النخيل وجوز الهند وشجرة الكندر والسنط الذي يعرف باللبان العربي، وينمو هذا الشجر في المناطق المرتفعة وبطون الأودية وفي المناطق الصحراوية لأنه يتحمل الظروف المناخية الصعبة(عامر،د.ت،ص83) وشجر الكافور والورس والقصيعة (مهران، 2008، ص280)، وكذلك ينمو شجر الأثل وشجر التألب في الجبال و يستخدم زيته في الإنارة وشجر السدر وشجر العرر وشجر البشام الذي له عطر طيب الرائحة وثماره تصبغ به الثياب وعيدانه تستخدم كسواك للأسنان وأوراقه تمزج بالحناء(محمود،1995،ص219).

تعتبر منطقة "ظفار" هي المركز الرئيس لإنتاج المر، فكانت طرق القوافل البرية التي تنقل المر واللبان من ظفار إلى حضرموت تمر بجانب الربع الخالي الجنوبية، أو عبر مدينة "المهرة" نزولاً بوادي المسيلة ثم وادي حضرموت (بافقيه،1985،ص176-177)، وشجرة المر صغيرة الحجم لا يزيد ارتفاعها عن ستة أقدام أوراقها بيضوية الشكل ذات أشواك صغيرة، وتعد مدينة تمنع المركز التجاري للمر وفيها تجمع من المناطق المجاورة لها(عبدالعال،2007،ص99).

يخبرنا هيرودوت المؤرخ الإغريقي عن كيفية حصول العرب على المر فيمزج تلك الطريقة بالأسطورة فيقول: "أن المر ينبت في بحيرة غير عميقة ويعيش حول البحيرة كائنات مجنحة متوحشة تشبه خفاش الليل وتصدر تلك الحيوانات أصواتاً مرعبة" (هيرودوت،ك3، 2019،الفقرة 110) ولعل هذه الأسطورة كان قد سمعها من التجار العرب التي نسجوها من خيالهم لكي يحموا مناطق المر من طمع الغرباء ويحافظوا على تجارتهم لهذه المادة مع مناطق العالم الآخر، لذلك نجده في موضع آخر يخبرنا عن الأسلوب العجيب الذي يجمعون به القرفة[1] فيقول "لأنه لا أحد يمكنه القول أين توجد وأية أرض تنتجها" (هيرودوت،ك3، 2019،الفقرة 111)وكذلك عندما يتحدث عن الصمغ ذي الرائحة الطيبة جداً والذي يقول عنه أنه ينبت في مكان ذي رائحة سيئة جداً(هيرودوت،ك3، 2019،الفقرة 112)، ويقول أيضا عن المر "إن بلاد العرب فقط هي التي تنتج اللبان والمر والكاسيّا والقرفة والصمغ الذي يقوم الفينيقيون بتصديره إلى بلاد الإغريق"(هيرودوت، ك3,2019.الفقرة107).

نستنتج من أقوال هيرودوت السابقة أن التجار العرب استطاعوا أن يحافظوا على أماكن إنتاج المواد العطرية وينسجوا حولها القصص والأساطير في صعوبة الحصول عليها وجمعها ويجعلوا الطريق إلى أماكن إنتاجها غير معروفة، لكي يحموا تجارتهم وأراضيهم من الطامعين وبذلك يحفظوا لأنفسهم احتكار

[1] . استخدم العرب منذ القدم لحاء أشجار القرفة في حفظ الأطعمة والنبيذ بعد أن يجففوه ويطحنوه كما دخلت القرفة في صناعة العقاقير الطبية، و لم تعرفها أوروبا إلا في القرن الثامن الميلادي للمزيد ينظر(**ابو الأنوار،2013ص ص 96-97**) .

وتصدير تلك المواد التي كان الطلب عليها عالياً في العالم القديم والتي كانت تدر أرباحاً طائلة، كما نستنتج ايضا أن الفينيقيين كانوا وسطاء في هذه التجارة فنقلوا تلك المواد وتاجروا بها مع الإغريق.

أما اللبان فقد انتشرت أشجاره في مناطق كثيرة من مناطق اليمن كوادي حجر وتلال حضرموت والتي ما تزال تستنبت إلى يومنا هذا(بافقيه،1985،ص176)، وهو مادة صمغية تسيل على الأشجار عندما تجف هذه المادة تصبح لباناً، فيجمع ويصدر إلى بقاع العالم، هناك ثلاثة عشر صنفاً من أنواع اللبان يصنف حسب شدة وقوة عطريته وأجوده ما يعرف بالعقلة أما الصنف الثاني في الجودة فيعرف باللبان المكمور، حيث صنف إلى ثلاثة أصناف جيد ومتوسط ورديء.(عثمان، 1990،ص153).

ولقد استخدم اللبان في الأغراض الروحية كالحماية من العين والسحر فكن النساء يضعن المر و اللبان الأسود على وجوه أطفالهن حماية لهم من العين، ويقمن بحرق اللبان كل صباح لأن له مفعولاً قوياً على طرد الشياطين (بافقيه،1985،ص206)، ويشير نص مكتوب على لوح من النحاس محفوظ بالمتحف البريطاني ما نصه أنه "وهب للإله ذهباً وبخوراً ووضع روحه وجسده و أولاده ومقتنياته وقلبه في رعاية الإله"(ديتلف،1958،ص52)، فهذا نوع من الطقوس الدينية التي كان يمارسها سكان اليمن القديم باستخدام البخور وحرقه للتقرب من الآلهة وهو نوع من الاعتراف بالذنوب أمام الآلهة لتكفير عن الخطايا، كما يتحدث بليني عن زراعة أشجار المر فيؤكد على أن المر المستنبت أفضل من الذي ينمو في الغابات طبيعياً(بافقيه،1985،ص176)، ويعد المر من أنفس البضائع حيث كان يُستخدم في تطهير الموتى عند الفراعنة، ويُستخدم كمرهم يوضع على الجروح والجلد والحروق لتعقيمها من الالتهابات، ويُستخدم في حالات الإسهال وتسكين الصداع أيضاً، ومزجه الأنباط مع مواد أخرى لصناعة مواد التجميل والعطور(عباس، 1987، ص112)،أما زيته فكان اليهود يستعملونه كدواء للسعال وديدان الأمعاء(سوسة، 1979، ص218).

نتائج البحث

قامت العديد من الممالك بجنوب شبه الجزيرة العربية وكانت التجارة هي عصب اقتصادها ومن تلك الممالك معين أوسان وقتبان وسبأ وحضرموت، فكانت التجارة برية وبحرية ربطت بين الشرق والغرب،

وفي النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد ظهرت سبأ كقوة سياسية بفضل اقتصادها القوي الذي اعتمد على تجارة البخور والمر واللبان والطيب وغيرها من المواد العطرية فأقامت علاقات دبلوماسية مع بلدان الشرق الأدنى القديم، وأنشأت محطات تجارية على طول الطريق الرابط بين جنوب الجزيرة وشمالها لتقديم الخدمات للقوافل واستطاعت تلك المحطات أن تتحول إلى مدن أسهمت في تبادل الثقافات والمعارف والخبرات بين جنوب الجزيرة وشمالها.

ولقد تاجر العرب بعدة سلع كانت تنتجها بلادهم، كالبخور والمر والقرفة واللبان والزعفران وغيرها من المواد التي كان الطلب عليها كبيراً في العالم القديم وخاصة مصر وبلاد اليونان والرومان، الذين بالغوا في تقديرها ومدحها وكتبوا عنها القصص الأسطورية فأثار ذلك حفيظة ملوكهم وأباطرتهم وأخرج الرغبة الكامنة في نفوسهم للسيطرة على أماكن إنتاجها.

عندما زاد الطلب على المواد العطرية التي أهمها البخور والمر أصبح الأمر ملحاً بأن يتم جمع تلك المادة مرتين في السنة بعدما كانت تجمع مرةً واحدةً وخاصة أن أسعارها أرتفعت في العالم القديم فحاول الأباطرة الرومان عدة مرات السيطرة على منابع إنتاج البخور والمر والطرق التجارية المؤدية إليه ولكنهم فشلوا من الناحية العسكرية لذلك اتخذت سياستهم اتجاه آخر وهو السيطرة الثقافية والدبلوماسية على مناطق إنتاجه، وبعد التحول من التجارة البرية إلى التجارة البحرية أدى ذلك إلى ضعف اقتصاد بعض الممالك الداخلية التي لا تطل على السواحل مثل معين وبدأت بالانهيار واكتفت بإنتاج البخور والمر وذلك بسبب سيطرة المصريين والإغريق و الرومان على التجارة البحرية واكتشافهم لأسرار الخطوط البحرية التجارية في البحر الأحمر وتبدل الرياح فانهار الرخاء في بلدان جنوب شبه الجزيرة العربية.

قائمة مصادر ومراجع الدراسة

أولاً: المصادر العربية والمعربة.

- الأصفهاني، أبوفرج، الأغاني، الجزء الأول، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، د.ت.
- الكتاب المقدس، إصدار دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط
- المقدسي، شمس الدين أو عبدالله محمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، 1906.
- هيرودوت، الحملة الفارسية على مصر وحملة الاسبرطيين ضد ساموس ووصف بلاد الهند، الكتاب الثالث، ترجمة محمد المبروك الدويب، مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية بوزارة التعليم-ليبيا- 2019م.

ثانيا: المراجع العربية:

- إبراهيم، حقي إسماعيل، أسواق العرب التجارية في شبه الجزيرة العربية،دار الفكر، عمان،2002م.
- أبو الأنوار، زينب، أسواق وتجار أوروبا –العصور الوسطى، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2013م.
- ابوالعلا محمود طه، جغرافية شبه جزيرة العرب، ج3-4، القاهرة، 1972.
- إسماعيل، حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارة بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.
- باعليان، محمد عوض منصور، الملابس في اليمن القديم، جامعة عدن، 2013م.
- بافقيه، محمد عبدالقادر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985م.
- حتّي، فيليب و ادوارد جرجي و جبرائيل جبور، تاريخ العرب، الطبعة الخامسة، دار غندور، بيروت – لبنان، 1974.
- حمودة، عبدالحميد حسن، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الثقافة للنشر، 2006م.
- الحوت، بيان نويهض، فلسطين، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، 1991م.

- داغر، اسعد، حضارة العرب، مطبعة المقتطف، مصر، 1919م.
- رحماني، بلقاسم، حرفوش مدني، الدور المصري في جنوب شبه الجزيرة العربية والشرق الإفريقي، مكتبة زهراء الشرق،1997م.
- زيدان، جرجي، العرب قبل الإسلام، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م
- سالم، السيد عبدالعزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1976م.
- سرور، محمد جمال الدين، قيام الدولة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1964م.
- سقال، ديزيره، العرب في العصر الجاهلي، دار الصداقة العربية، بيروت، 1995م.
- سوسة، أحمد، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، وزارة الإعلام، بغداد،1979م.
- شاكر، محمود، شبه جزيرة العرب "عسير"، دمشق، المكتب الإسلامي، 1976م.
- شهاب، حسن صالح، أضواء على تاريخ اليمن البحري، الطبعة الثانية، دار العودة، بيروت، 1981.
- الشيبة، عبدالله حسن، دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي الثوري، تعز، الجمهورية اليمنية، 1999- 2000م.
- عباس، إحسان، تاريخ دولة الأنباط، دار الشروق، الأردن، 1987م.
- عبدالعال، عادل، الطب القديم، مكتبة النور، مصر،2007م.
- عبدالغني، محمد السيد، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب الجامعي الحديث، 1999م.
- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج2 ج7، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، 1993.
- العلي، صالح أحمد، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، 2000م.

- علي، فؤاد حسين، التاريخ العربي القديم، مكتبة النهضة المصرية، 1958م.
- فخري، أحمد، دراسات في تاريخ الشرق القديم –مصر والعراق–سوريا–اليمن–إيران، مكتبة الانجلو المصرية،1980.
- فخري، أحمد، رحلة أثرية إلى اليمن، وزارة الإعلام والثقافة، الجمهورية العربية اليمنية، 1988م.
- الكعبي، عبدالحكيم غنتاب انديشة، أحمد محمد، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الشعب، مصراتة – ليبيا، 2005م.
- متري، نجيب، ملخص التاريخ القديم، مطبعة المعارف،1913م.
- محمود، محمود عرفه، العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم، منشورات عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،1995م.
- معطي، علي محمد، تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، دار المنهل اللبناني – مكتبة رأس النبع، 2003 م.
- مهران، محمد بيومي، تاريخ العرب القديم، ج1، دار المعرفة الجامعية، مصر،2008م.
- الناصري، سيد أحمد على، دور مصر التاريخي بين شبه الجزيرة العربية وأفريقيا في عصور ما قبل الإسلام، دار النهضة العربية، 1990م.
- الندوي، سليمان، الملاحة العربية والكشوف البحرية، بمباي.1935.
- النعيم، نورة بنت عبدالله بن على، التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية الدولة الحميرية، مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض،2000م.
- النعيم، نوره عبدالله العلي، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف، الرياض،1992.
- ولفنسون، إسرائيل،تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد، مصر،1927م.

- وهيبة، عبدالفتاح محمد، مصر والعالم القديم، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت.

ثالثاً: المراجع المعربة:

- ديتلف، نيلسون، التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسين على، القاهرة،1958،
- غويدي، اغناطيوس، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام، ترجمة ابراهيم السامرائي، منشورات دار الحداثة، 1986م.
- فنلي. م.أ، اقتصاد العالم القديم، ترجمة عبداللطيف الحارس، هيئة ابوظبي للثقافة والتراث والكلمة، 2011م.
- مورلي، نيفيل، التجارة في الزمن الكلاسيكي القديم، ترجمة أحمد محمود، ابوظبي،2011م.
- موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر، القاهرة، 1968.
- هايد. ح، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991م.
- هومل، فرتز، التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسين على، مكتبة النهضة المصرية، 1958م.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

- Warmington, E.H., The Commerce between the Roman Empire and India, London, Curzon Press,1974.
- Patrice Cone: Meccean trade and the Rise of Islam, Basic: Blackwell, Oxford 1978.

خامساً: الدوريات:

- عبدالعليم، أنور، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، مجلة عالم المعرفة، العدد13، الكويت، يناير 1979م.
- عثمان، شوقي عبد القوي، "تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية 41-904هـ\661-1498م"، مجلة عالم المعرفة، العدد151، يوليو1990م.

- كليب، مهيوب غالب أحمد، "الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب، خلال الألف الأولى قبل الميلاد"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد الأول والثاني 2011'م.

سادساً: رسائل الماجستير:

- الطليسي، إبراهيم محمد رجب، التجارة البرية والبحرية لجنوب شبه الجزيرة العربية وتأثيرها على الأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية في الفترة ما بين 1300ق.م -525م، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الأكاديمية الليبية،2013م.
- عامر، جمال سليمان على، الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الزقازيق، د.ت.